

متون: دورية أكاديمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة سعيديّة – الدكتور مولاي الطاهر

المجلد: 18، العدد: 01، 30 أفريل 2025

ISSN : 1112-8518 EISSN : 2600-6200

التعبير الفلسفي وتمثيالاته في القصة القصيرة جداً

قصص حسن البطران أنموذجاً

Philosophical expression and its representations in the very short story, Hassan Al-Batran's stories as a model

د. فاطمة أحمد الزغول

جامعة اليرموك، الأردن

Fatimamzghoul @gmial.com

تاريخ الاستقبال: 2024/10/28 تاريخ القبول: 2024/11/13 تاريخ النشر: 2025/04/30

الملخص:

يهدف البحث الموسوم بـ: التعبير الفلسفي وتمثيالاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً، إلى الوقوف على تمثيلات التعبير الفلسفي فيها، اعتماداً على تحليل واستقراء نماذج من النصوص لقاص يمتاز بكثافة النشر وتنوعه. تضمن البحث مقدمة تمهيدية، وثلاثة عناوين فرعية أولها (الأدب والفلسفة) يوضح بإجمال ماهيتهما وجوانب التداخل والاختلاف بينهما، وثانيها (مجالات الفلسفة والأدب الفلسفي) يبين الموضوعات، والتعبيرات المشتركة بينهما.

أما الفرع الثالث (التعبير الفلسفي في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران القصيرة جداً أنموذجاً)، فهو المحور الرئيسي، تم فيه توضيح مفهوم القصة القصيرة جداً كجنس أدبي حديث، وتناول نماذج من نصوصها من مجموعات القاص

المؤلف المرسل: د. فاطمة أحمد الزغول.

حسن البطران بالتحليل واستقراء التعبيرات الفلسفية فيها، ثم عُرضت في الخاتمة النتائج التي توصلت إليها الباحثة، حول تجليات الفلسفة في القصة القصيرة جداً الكلمات المفتاحية: التعبير الفلسفي؛ القصة القصيرة؛ حسن البطران؛ الأدب؛ التحليل..

Abstract:

The research entitled (Manifestations of philosophy in the very short story) aims to examine the manifestations of philosophical expression in it, depending on the analysis and extrapolation of samples from texts, for a storyteller characterized by the intensity and diversity of publication.

The research included an introductory introduction and three sub- headings, the first of which is Literature and philosophy that explains in a summary what they are, and aspects of the overlap and difference between them, and the second (The fields of philosophy and philosophical Literature) shows the topics Expresses common to them As for the third branch The philosophical expression in the very short story, the very short story of Hassan Al-Batran as a model, it is the main axis, in which the concept of the very short story as a modern literary genre was clarified, and samples of its texts from the collections of narrator Hassan Al-Batran were dealt with by analyzing and extrapolating the philosophical expressions in it. Then, in the conclusion, the researcher's findings were presented, which included the manifestations of these philosophical expressions according to the results of the inductive analysis of the texts.

Keywords: Philosophical expression; short story; Hassan Al-Batran; literature; analysis.

المقدمة

شهدت العصور التاريخية المتعاقبة حوارات وجدلاً بين المفكرين، حول علاقة الفلسفة بالأدب، ورغم وضوح التداخل بينهما، واستخدام كل طرف منهما للآخر في إيصال المعنى، وبلوغ التأثير، إلا إن الحوارات حول هذه العلاقة لا زالت موجودة.

التعبير الفلسفي وتمثيلاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً

تأثرت المجتمعات الإنسانية بالتطورات التي فرضتها العولمة، والتقنيات الحديثة، التيقارب بين الشعوب والثقافات، وأزالت حواجز المسافات، فتداخلت العلوم والمعارف والثقافات الإنسانية، وتعددت فروعها واختصاصاتها، ولم يعد لحواجز الخصوصية كيان، ولم تعد الفلسفة تهيمن على العلم والمعرفة، بل انصهرت في بوتقة العلم لتصبح جزءاً متعلقاً في ميادينه المختلفة، ولم يستثن الأدب من هذه التطورات، فقد شهدت الساحة الأدبية العربية، تطورات في الأجناس الأدبية، فتوالدت أجناس أدبية جديدة متأثرة بالثقافة مع الحضارات والثقافات الغربية، ومعبرة عن فلسفة الفكر الإنساني تجاه هذه الأحداث، والتطورات، والأزمات، التي تعم العالم المعاصر.

ومن أبرز الفنون الأدبية المنتشرة على الساحة الأدبية، والمتأثرة بالتغيرات الحديثة، والفكر الفلسفي، القصة القصيرة جداً، والتي ظهرت في الأدب العربي منذ مطلع القرن العشرين، بعد انتشارها في أوروبا، لتواكب متغيرات العصر، فما هي القصة القصيرة جداً؟ وما مدى تعبيرها عن الفلسفة بمختلف مجالاتها؟ هذا ما سيتناوله هذا البحث منتهجاً استقراء مجموعة من النصوص القصصية القصيرة جداً للكاتب حسن البطران، وتحليلها وملاحظة ما تحويه من تعبيرات ومضامين فلسفية.

ومن الدراسات السابقة التي بحثت في هذا الموضوع:

- في الفلسفة والأدب، حواس محمود، مقالة منشورة في موقع Alephlam بتاريخ ٢٨ March ٢٠٢٠م.
- الفلسفة والأدب في مواجهة العبث: كامو وسارتر نموذجا، يوسف هزايمة، مقالة منشورة بتاريخ: ٢١ أكتوبر ٢٠٢٤م في موقع تكوين.
- ما العلاقة بين الأدب والفلسفة؟ مقال منشور في مجلة برشلونة الأدبية، من قبل هيئة التحرير، بتاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢٤م
- الفلسفة والأدب:

سرت طبيعة الإنسان المكرم بالعقل، في تقصّي حقائق الظواهر الكونية، وسبر أغوار مكنوناتها، وفك رموزها، فلم يكتف بالمشاهدة العابرة، ولم يقبل المسلمات دون بحث وتدبر، وقاده التفكير إلى تطوير أنماط حياته عبر العصور التاريخية، كما استطاع الارتقاء بفكره ليدرك دوره في استقراء الدلائل، للوصول إلى المدلول .

وتفاوتت اهتمامات البشر إزاء تفسير ظواهر الكون، أو القبول بالأشياء على طبيعتها دون محاولة إعمال العقل بالتفسير، فكان يطلق علي المفكر فيلسوفاً إذا اجتهد في البحث والتفسير المنطلق من التحليل العلمي للظواهر، كما تعددت طرق التفسير والتعبير عن انفعالات الإنسان الحسية تجاه الكون، فوظف اللغة وتعبيراتها الإشارية والرمزية، وعناصرها البلاغية، للتعبير عن كل ما يثير انفعالاته في هذه الكون، محاولاً فلسفة ظواهر الكون المحيطة به بأسلوب أدبي فلسفي، فانفجرت قرائح الشعراء والأدباء في تأليف الأعمال الأدبية¹ المنطلقة من عمق الرؤى وأبعادها الفكرية، فما هي الفلسفة؟ وما هي الأوضاع التي نشأت فيها؟ وما هو الأدب؟ وما علاقته بالفلسفة هذا ما سيتناوله هذا الفصل.

- مفهوم الفلسفة ونشأتها

ظهر مصطلح "الفلسفة (La philosophie) في العصور اليونانية القديمة، وهو مكون من كلمتين يونانيتين هما (فيلو) وتعني حب و(سوبا) وتعني الحكمة² وهي بمعناها العام تعني " المعرفة العقلية"، أو كما عرفها أوغست كونت " (A Comte) النظام العام للتصورات الإنسانية"³، فنظرة الإنسان الفلسفية لا تكتفي بالانطباعات السطحية للأشياء، وإنما تبحث عن معرفة حقيقتها، وخفاياها البُعدية .

أما الأدب الذي قسمه تودوروف في كتابه (مفهوم الأدب ودراسات أخرى) إلى أدب وظيفي، وأدب بنيوي، فهو من حيث الوظيفة يحمل موضوعاً معيناً يبرزه ويعالجه، كقضية اجتماعية على سبيل المثال، أما الأساليب والكيفية التي يتم فيها معالجة هذه القضية الاجتماعية، فهو المفهوم البنيوي للأدب، فالأدب من

التعبير الفلسفي وتمثيلاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً

الناحية البنيوية تخيل كما اعتبره تودوروف، يتم فيه توظيف اللغة بمعانها الواسعة، وهو بهذا المفهوم لم يعد محاكاة فحسب كما كان يُنظر إليه في السابق، وبذلك يصعب الفصل حالياً كما يقول تودوروف بين الكتابات المختلفة تحت مسمى الأدب.⁴

يعتبر الأدب بمفهومه الحالي من المفاهيم الحديثة "فكلمة أدب في اللغات الأوروبية حديثة العهد جداً بمعناها الراهن، إنها لا تكاد تسبق القرن الثامن عشر"،⁵ في حين ذكرنا أن الفلسفة قديمة قدم العصور الإغريقية، ومع ذلك فإن الفلسفة بمفهومها الواسع لم تستطع احتواء الأدب ضمن كيائها كما كانت تحتوي العلوم الأخرى، فالأدبيكان واسع مستقل وشمولي يحوي النواحي الإنسانية المختلفة، فكما وصفه رينيه ويليك في "النظرية الأدبية" بأنه استخدام اللغة استخداماً خاصاً ضمن ثلاثة مجالات رئيسية، أدبية، وعلمية، ودارجة، فالأدب مقارنة بالعلم مفهومي، كما اعتبره ويليك، أي مهم وغير شفاف وغني بالتداعي، في حين أن التعبير العلمي شفاف خالي من الالتباس، ومرجعياته محددة، بينما الأدب تعبيرى نفعي، ينظم اللغة الشعرية مستخدماً مصادر اللغة والتاريخ في غاية ذاتية، لا تبرر وجودها بعيداً عن وظيفتها الجمالية.⁶

وقديماً قادت محاولات الإنسان فيكشف أسرار الكون، إلى نزوحه بخياله بعيداً إلى ما وراء الظواهر المرئية، فأثارت النوازع الأدبية في نفسه، فألف روائع الإنتاج الشعري المعتمد على التصورات العقلية "كالإلياذة، والأوديسة) لهميروس، و(الأعمال والأيام، والآلهة) لهزيود"⁷، وغيرها من الأعمال الأدبية الخالدة، فهذه الروائع التي ألهمت عقل الإنسان بروعتها، لم تكن مبنية على حقائق عقلية مثبتة، لكنها سبحت في عالم الخيال الأسطوري، لتعكس تصورات العقل البشري في محاولة التكهّن فيما خُفي عنه.⁸

وبما أن الفلسفة هي الحكمة التي تعني: "الكلام الموافق للحق، وصواب الأمر وسداده، ووضع الشيء في موضعه، وما يمنع من الجهل"⁹؛ فهي بهذا المفهوم لا ترتبط بأمة بحد ذاتها، ولا تقتصر بزمان محدد دون غيره، فالفلسفة ملازمة للعقل

البشري، ونظرته للظواهر الكونية، وما يعترضه من تحديات متتالية، تفرض عليه الإمعان في التفكير، ومحاولة التفسير، وهذا يقودنا إلى ما يسمى "الميتافيزيقية التي عرّفها فنكور (R vancourt) بأنها: رد فعل إجمالي للفرد إزاء الكون من منظور الفهم والوجدان والعمل".¹⁰

وحسب هذا المفهوم للميتافيزيقية، فإن نظرة الإنسان للكون وظواهره، تختلف من شخص لآخر، كما تختلف بذلك طريقة التعبير وردود التأثير المجسدة لهذه الآثار، فهناك أشخاص يمرون على الظواهر الكونية، والمواقف الاجتماعية والسياسية مر الكرام دون أن تحرك نوازعهم، أو تدفعهم إلى التفكير والتأمل، وهناك أشخاص تدفعهم هذه الظواهر إلى إمعان النظر في عمقها، وتولّد لديهم خيالاً بعيداً، يفجّر ملكاتهم الإبداعية، فيشرعون إلى التعبير عنها بالكتابة، أو الرسم، أو النحت والتشكيل، لتخرج بصورتها الفنية الإبداعية، مخلدة الفكر الفلسفي الإنساني¹¹

تعتبر الفلسفة من الناحية المنهجية علماً عاماً، فهي تدخل في غالبية العلوم الخاصة، وترتبط بها، فمجالات الفلسفة متعددة، ومتعلقة بمجالات العلوم والمعارف العلمية والإنسانية، وبذلك يتوجب على الفيلسوف أن يلمّ بالخطوط العريضة للعلوم المختلفة، فتتكوّن لديه ثقافة واسعة يستطيع من خلالها فهم ما يدور حوله في الوجود، ويتنبأ ويفسر العلاقات والروابط بين الأشياء المختلفة.¹²

أما عن الأدب وعلاقته بالفلسفة، فرغم ما خلفه أفلاطون من أفكار في رفضه لهذه العلاقة، واستبعاده الشعراء والأدباء من جمهوريته، بحجة محاكاتهم للطبيعة، ونظرتهم الخيالية، بينما الفلسفة تقوم على الحقيقة العلمية التي اعتبرها ذات قيمة مقدسة^{١٣}، فإن الأدب مرتبط بالفلسفة ارتباطاً وثيقاً رغم وجود الاختلافات الجوهرية في الغاية التي يرمي إليها كل منهما، فلو قلنا إن الأدب قائم على التصورات العقلية والخيال، فإن الإدراك العقلي يبدأ بالتصور وهو الإدراك الساذج، ثم يصل بعدها إلى الإدراك المنطوي على الحكم على الأشياء، فالفيلسوف عندما يشعر بالحرارة تبدأ تصوراتهِ عن ماهية الحرارة، فتبدأ في

التعبير الفلسفي وتمثيلاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً

عقله تخيلات حول ماهيتها كأن يتخيل أن مصدرها الشمس، ثم يسعى إلى إثبات وتصديق هذا التصور، ليصل إلى الحقيقة العلمية، وقد لا يصل إلى مرحلة التصديق والإثبات، ويبقى الأمر مجرد تصوّر،¹⁴ وبما أن الأدب قائم على التصورات والخيال والتفكير فيما وراء الطبيعة، والموجودات، نستطيع بذلك تصور علاقة الأدب بالفلسفة، رغم إصرار العلماء على الفصل بينهما.

يسعى الفيلسوف إلى فهم الغاية من الظواهر وأسباب حدوثها، دون اهتمام بالتعبير الشعري للغة، ودون تنميق للألفاظ لجذب نظر المتلقي، بينما يسعى الأديب إلى تصوير هذه الظواهر وإبرازها للمتلقي، والتفاعل معها بالشعور، والتعبير اللغوي الجمالي، فلغة الفلسفة تميل إلى الجانب الواقعي العقلاني، في حين تميل لغة الأدب إلى الجانب الخيالي، فيوظف الكاتب عناصر البلاغة وجماليات اللغة، لتعبر عن خلجاته، وأفكاره، واعتقاداته.¹⁵

ومن الشواهد على علاقة الأدب بالفلسفة، استخدام الفلاسفة للأجناس الأدبية في إيصال رسالتهم الفلسفية، كما فعل كل من (سرفانتس) في بحثه عن ماهية المغامرة، و(صموئيل ريتشاردسون) في فحص ما يدور في الداخل والكشف عن الحياة السرية للمشاعر، وكما كشف (بلزاك) تجذر الإنسان في التاريخ، وكما بحث (فلوير) عن الأرض المجهولة، وكذلك (تولستوي) فيكشف عن السلوك البشري اللاعقلاني، وذلك في الروايات الأدبية التي حملت فكراً فلسفياً تم تشكيله بقوالب أدبية.¹⁶

وإذا كان هذا حال الفلاسفة في الغرب في تعاملهم مع الأدب الفلسفي، فإن العالم العربي شكّل أيضاً أعمالاً أدبية ذات قيمة فلسفية عالمية، "تعد من عيون الأدب العالمي، والتراث الإنساني، ومن هذه الأعمال الأدبية الفلسفية: ألف ليلة وليلة، والمقامات، ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري، وقصة حيان بن يقظان لابن طفيل".¹⁷

وكما وظّف الفلاسفة الأدب في إيصال فكرهم، استخدم الأدباء كذلك التعابير الفلسفية في الأجناس الأدبية المختلفة، شعراً ونثراً، فإذا كانت الفلسفة

بحثاً عن الحقيقة، ومحاولة تفسير الظواهر المختلفة في الكون، فإن الأدب الحديث أيضاً يبحث عن تفسير الظواهر المختلفة من خلال مفهوم الخطاب، وهو المفهوم الوظيفي للأدب، فالأديب يوظف نصوصه الأدبية المختلفة لإثارة التفكير والتصور حول المجالات الفلسفية التي تهم الإنسان في محاولاته اكتشاف الحقائق.¹⁸

ومع التطور السريع الذي شهده العالم الحديث، "بظهور نظريات وتيارات ومدارس ما بعد الحداثة منذ عام 1970م" وما شهده العالم من انفتاح حضاري، وتعدد في المجالات والاختصاصات العلمية، لم تعد الفلسفة متفردة في مجال العلم، وكذلك لم يعد الأدب مجرد تعبير عن العامل الذاتي، وإنما أصبح يعبر عن قضايا العالم بمختلف النواحي الفكرية، من هنا تتداخل الفلسفة مع الأدب، فهي لا تدخل الأدب من حيث النظريات والنظم الفلسفية، وإنما هي تقدم للأدب القضايا الفكرية والجمالية الإنسانية، التي يبني عليها الأدب تعبيراته ومضامينه.²⁰

يتضح لنا مما سبق علاقة الفلسفة بالأدب، فالأديب تلفته الظواهر الكونية المختلفة، كما تلفت الفيلسوف، وكل منهما يحاول التعبير عنها، والتفكير في ماهيتها، ولكن تختلف لغة الأديب التي تسخر اللغة وجمالياتها لهذه الغاية، التي تركز على مشاركة المتلقي للأديب في التفكير، عن لغة الفيلسوف الذي يستخدم المعنى الحقيقي للغة لتفسير تلك الظواهر، دون التركيز على لفت المتلقي ومشاركته.

والسؤال الذي يحضرنا حول علاقة الأدب بالفلسفة هو: ما هي المجالات التي يشترك فيها الأدب مع الفلسفة في محاولة تفسير الظواهر المختلفة؟ وكيف يعبر الأديب تعبيراً فلسفياً؟

- مجالات الفلسفة والأدب الفلسفي:

ترتكز الفلسفة في مجالاتها البحثية المتعددة على ثلاث محاور رئيسية، تنطلق منها بقية المجالات المتفرعة عنها، وهي: " الوجود، والمعرفة، والقيم"²¹، فأول

التعبير الفلسفي وتمثيلاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً

ما يشغل بال الإنسان هو الوجود وماهيته، وأصله، وكيف تكوّن، وهذا يقوده إلى المبحث الثاني وهو المعرفة، والتي تتشكل لدى الإنسان نتيجة البحث والتفكير العقلي، ثم تتشكل القيم الإنسانية التي تنبني على إدراك الإنسان لطبيعته، كالمنطق، والحق، والخير والجمال.²²

يطلق مفهوم "الانطولوجيا (Ontology) على البحث في طبيعة الوجود على الإطلاق، مجرد من كل تعيين أو تحديد، ويترك للعلوم الأخرى المتعددة البحث في نواحيه المختلفة، فهو يركز على ما وراء الطبيعة"²³

تُعنى الوجودية بالإنسان وما ينتابه من حالات كالموت، والخطيئة، والقلق، والمغامرة، والاختيار، والمسؤولية،²⁴ وقد أثّرت هذه النظريات في الأدب، فظهر مقياس الالتزام عند الفيلسوف (جون بول سارتر) الذي دعا إلى التزام الأدب بدعوة اجتماعية، واعتبر ذلك من واجباته التي ينبغي القيام بها، كي يصبح دعامة من دعائم المجتمع، وبالتحديد ما يخص الفنون النثرية القصصية، أما الشعر فقد اعتبره من الفنون المتعالية بلغتها التعبيرية²⁵ فقد سار الأدب في اتجاهين متوازيين، اتجاه كلاسيكي يهتم بالشكل والخيال على حساب المضمون، وهو ما عرف بالأدب الرسمي، والأدب الذي سائر عصر الثورة على الطبقية، والذي اهتم بتجسيد الواقع وتصويره، فكان التركيز على المضمون أكثر من الشكل، فوظيفة الأدب لا تقتصر على الجمال فحسب، بل يجب أن يكون مظهراً عاماً من مظاهر الشعور الإنساني، وأن يكون ملتزماً، وهو ما نادى به سارتر²⁶ وهناك رأي ثالث لهيجل الذي نادى باتحاد الشكل مع المضمون، فهو يرى أن الإنسان لا يستطيع أن ينجز شيئاً دون اهتمام، وإذا كان الاهتمام في موضوع أو حدث يثير انفعالاً، فإن هذا الانفعال يولد العاطفة، وبهذا يتم تأثير كل منهما في الآخر²⁶، وهو الرأي الأنسب في جعل الأدب أعلى قيمة، إذ يلي الجوانب الجمالية محاذاة بالجانب الوظيفي، فالأدب حالياً لا يفصل بين حدث الكتابة والتساؤلات التي تنشأ في ذهن الكاتب وتدفعه لتجسيدها من خلال اللغة .

ويقود البحث في الموجودات إلى نظرية المعرفة: الأبيستمولوجيا، والتي ترتبط بالإدراك ومعرفة علاقة الموجودات وتأثيراتها، وهذه النظرية الفلسفية تعتمد على سابقتها، فالبحث في الوجود ومحاولة اكتشاف العلاقات وتفسيرها، يقود إلى المعرفة والإدراك الحسي للأشياء.²⁸

والأدب ينتج عن إدراك ومعرفة لدى الأديب، "وقبل أفلاطون كانت القدرة على قول الحقيقة تُعزى للشعراء بقدر متساو لذلك الذي للفلاسفة، وارتبط كلام الشعراء في اليونانية القديمة ارتباطاً وثيقاً بقوتين أساسيتين كلاهما متجذرة في الدين، وتحافظ على استقامتها كجزء في الممارسات الاجتماعية في المجتمع ذي الطقوس الشعائرية، أما الأولى، فكانت قوة الذاكرة، والثانية قوة التأمل، وكان من قدرة الشعراء أن ينتحوا من هاتين القوتين".²⁹

وإذا كان المفهوم القديم للأدب مرتبطاً بالشعر، فإن العلاقة ممتدة بين الأدب والفلسفة في البحث عن المعرفة، وبما أن المجتمعات الإنسانية بثقافتها مرت في مراحل عديدة من التطور، فالفلسفة والأدب جزء من هذا التطور، فقد تطور الأدب في العصر الحديث، وتعددت أجناسه ومجالاته بما يتواءم مع ما شهده العالم المعاصر من تحولات.³⁰

والأدب في مجالاته الحديثة يشهد تحولات في الجوانب المعرفية، فالكاتب يواكب مجريات الأحداث الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويجسدها في نصوصه الأدبية، أو يستشهد بظواهر علمية أو فلسفية في نصوصه، مما يحتم على الأديب أن يتحلى بالثقافة وسعة الاطلاع، وبالتالي لا بد للمتلقي أيضاً من سعة المعرفة والثقافة لفهم ما يضمّنه الأديب في نصوصه من تناص، وإحالات ورموز³¹ وينبغي على الأديب أن يبني نسقاً معرفياً يقف فيه عند الفلسفة، ويمعن النظر فيها، ثم يبني نسقاً فنياً يتوازى مع الجانب المنطقي، فيخرج النص في إطار متكامل، يقول (كارناب) "إن المهمة الوحيدة للفلسفة هي التحليل المنطقي ينظر إليه باعتباره بحثاً في التركيب المنطقي للغة"³²

التعبير الفلسفي وتمثيلاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً

يواصل الإنسان بعد خوضه مجالات المعرفة، ووصوله إلى حقيقة ذاته الإنسانية، البحث في المجال الثالث في علم الفلسفة، فيلتفت إلى (الأكسيولوجيا وهو العلم الذي يدرس القيم، والمثل العليا، والأخلاق، وارتباطها بالتفكير العلمي والمنطقي، فيحاول تفسير السلوك الإنساني، تفسيراً عقلياً، معتمداً على التفسيرات الفلسفية.³³

والأدب الحدي تجسد القيم والأخلاق والشعور، ففي القرن الثامن عشر نشأت نزعة فلسفية جرفت الأدب في تيارها، واستمرت في مطلع القرن التاسع عشر، حيث ظهرت المذاهب الرومانسية التي أخذت على عاتقها مهمة إعلاء شأن الخيال، وحرية التعبير، والحد من القواعد الثابتة وسيطرة العقل، حيث كتب (كانط) في كتابه (نقد العقل الخالص) بأن العقل يستطيع تفسير العالم المادي وفضّ أسرارهِ وحججه، إلا أنه أداة فاشلة لفهم الروح والنفس والانفعال والعواطف، على نحو ما كان يرى أفلاطون، وأدب روسو كان في مجمله دعوة للعودة إلى الطبيعة، والبراءة، وقد سار الرومانسيون على نهج روسو في تمجيد الطبيعة والعاطفة والفطرة، فقاموا بإحياء الشعر الغنائي متخطين نظرية الأنواع الأدبية.³⁴

يجسد الأدب الفلسفي عبر التاريخ مواقف تعبر عن قدرة العقل البشري على إدراك الحقيقة بفطرته، ومن الشواهد التاريخية على ذلك قصة حي بن يقظان لابن طفيل، وقصة الغثيان لسارتر المنشورة عام ١٩٣٨م، حيث تم توظيف أسلوب القصة الأدبي في معالجة القضايا الفلسفية، فأثر الفلسفة لم يقتصر على أغراض الأدب، وإنما تعدى إلى الشكل والأسلوب، وطريقة تنظيم المعنى، والتركيب الجمالي، فالتداخل بين الأدب والفلسفة يبرز في حمل كل منهما هم القضايا الإنسانية، والكشف عن خفايا ما يحمله العقل البشري من أفكار وهواجس إنسانية، يشترك في حملها الفيلسوف والأديب على حد سواء.³⁵

الأدب الفلسفي "هو أدب أولاً ثم هو فلسفي إذ يلتزم بتمثله في الأدب، رواية، ومسرحاً، وشعراً، وقصة، أدباً يحمل بعداً فلسفياً، ويبقى في ذلك أو لذلك فناً جميلاً متفرداً، يحمل من الفلسفة تلك ال (لماذا) في آفاقها وقضاياها".³⁶

تحمل الأجناس الأدبية المختلفة تعبيراً فلسفياً، يعالج القضايا الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية التي تشغل الفكر الانساني، وتثير تساؤلاته، ومن هذه الأجناس الأدبية، الرواية، والقصة القصيرة، والأقصوصة.³⁷ ومن الأجناس الأدبية الحديثة التي جسدت الفكر الفلسفي شكلاً ومضموناً، وتعبيراً فكرياً، القصة القصيرة جداً، ذلك الجنس الأدبي الذي يمتاز بالتكثيف، والإدهاش، والمفارقة، والوحدة الموضوعية التي تعالج قضايا الإنسان وهمومه. فما هي القصة القصيرة جداً؟ وما هي تجليات الفلسفة فيها؟

- التعبير الفلسفي في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران القصيرة جداً أنموذجاً.

تعتبر القصة القصيرة جداً في مفهومها الحالي، من الأجناس الأدبية الحديثة التي خرجت من رحم العولمة والحداثة، ولاقت رواجاً واسعاً، خاصة في مواقع التواصل الاجتماعي، والمفهوم اللغوي للقصة القصيرة جداً كما ورد في معجم العين: "يقال: في رأسه قصة، أي: جملة من الكلام ونحوه" "وقصر الشيء قصراً، وهو خلاف طال طويلاً، وقصرته أي صيرته قصيراً".³⁸

أما المعنى الاصطلاحي للقصة القصيرة جداً، فقد عرّف تودوروف القصص الصغير، أو القصير بأنه: "بنيات ثابتة، تقابل عدداً صغيراً من الوضعيات الأساسية في الحياة، وهو وحدات أساسية في البنية السردية".³⁹

تقوم القصة القصيرة جداً على أركان أساسية تميزها عن غيرها من الأجناس الأدبية، وهي: الحكائية السردية، وقصر الحجم، والتكثيف، والوحدة الموضوعية، والمفارقة، وفعالية الجملة، ومن الخصائص التي تميزها: توفر عنصر الإدهاش والغرابة، والسخرية، فهي تصور مشاهد حياتية من الواقع الإنساني، تدعو

التعبير الفلسفي وتمثيلاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً

للتفكير ولفت نظر المتلقي إلى القضايا الإنسانية التي تهتمه، من خلال تصويرها وتسليط الضوء عليها بأسلوب سردي مكثف.⁴⁰

يعتبر أفلاطون وغيره من الفلاسفة أن الاندهاش بداية التفلسف، فالإنسان يتعرض لمواقف وظواهر غريبة تثير قلقه، وتبعث في نفسه الدهشة، فيحاول تفسيرها، أو تدفعه لتصويرها في نص أدبي،⁴¹ وهذا ما يحدث في نصوص القصة القصيرة جداً، التي تنقل مشاهد زاخرة بالغرابة، والتساؤلات التي تعبر عن فكر الكاتب، ومعايشته لهذه الظواهر.

حملت القصة القصيرة جداً عند العديد من كتابها فكراً فلسفياً يعالج موضوعات الحياة الإنسانية المختلفة، وينقل مشاهد مثيرة للدهشة والتفكير منالواقع الأنطولوجي المحيط بالكاتب، والمتضمن قضايا فلسفية سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وعقائدية، ومن أبرز كتاب القصة القصيرة جداً، الذين حملت نصوصهم القصصية القصيرة جداً فكراً فلسفياً في مجالات الفلسفة المختلفة، الكاتب السعودي حسن علي البطران* المدرج اسمه في المناهج السعودية، والذي تعددت إصداراته في هذا المجال لتزيد على ثلاث عشر إصدار، زاخرة بالموضوعات المتنوعة.

بدأت تجليات الفلسفة في القصة القصيرة جداً عند البطران من العتبات، فقد تضمنت العناوين التي اختارها لمجموعاته بعداً فلسفياً واضحاً، فرمال الصحراء التي تبدو في ظاهرها هادئة، يراها البطران تحمل نزفاً من تحتها (نزف من تحت الرمال)⁴²، فهو يشير من خلال هذا العنوان إلى ما تضمنته محتويات المجموعة من أحداث غريبة في هذه الصحراء، والسموات المتعالية على الطبيعة الوجودية، لا تنبت أشجاراً (سموات لا تنبت أشجاراً)⁴³، وهذا العنوان أيضاً يعبر عن مضمون فلسفي للقدرة على العطاء والإنبات، التي تتنافى مع التعالي، وماء البحر مهما خالطته مياه السيول، والأنهار يبقى ملحها ظاهراً (ماء البحر لا يخلو من ملح)⁴⁴، إذ يعبر عن فلسفة البقاء للأصول مهما اختلطت بغيرها، كذلك تجلت المعاني الفلسفية في صورة الغلاف لبعض مجموعات البطران، فصورة الغلاف

لمجموعة (ماريا وربع من الدائرة) ٤٥ مثلاً، تتضمن شكلاً دائرياً محاطاً بأمواج زرقاء كموج البحر وزرقة السماء، وفي زاوية الدائرة الجانبية، امرأة تغطي ربعاً من هذه الدائرة البيضاء، وهذا الشكل يعبر عن فلسفة الزواج في العقيدة الإسلامية، الذي يبيح الزواج من أربع، وماريا هنا تشكل واحدة من الزوجات الأربع .
انطوت الفلسفة الوجودية في العديد من قصص البطران القصيرة جداً،
ومن القصص التي تعبر عن بعد أنطولوجي هذه القصة القصيرة جداً:

وجبهة امرأة

أنظر إلى صورتني في المرأة

أراها...

أطيل النظر فيها.. أركز.. أدقق النظر أكثر..

تزداد صورتها وضوحاً أمامي!...

أدير ظهري للمرأة

أرى صورتني في وجهها"⁴⁶

تحمل عتبة النص في هذه القصة بعداً فلسفياً أنطولوجياً يبين فكرة التمازج بين الأشياء، فالمرأة التي نستدل عليها بضمير الهاء في (وجهها) توحدت بالمرأة من الناحية الوظيفية، فأصبح وجهها عاكساً للنور الساطع عليه (وجهها امرأة).

يصور البطران في هذه القصة حالة التمازج الروحي بينه وبين تلك المرأة التي يحمل دلالتها عنوان النص، فهو كلما نظر إلى صورته في المرأة تتجسد صورتها أمامه، فيرى نفسه فيها، وللتأكيد على حقيقة هذا التجسد وبعده عن التخيل، يأتي البطران بأفعال متتالية تزيل اللبس لدى المتلقي حول حقيقة هذا التجسد (أطيل النظر، أركز، أدقق النظر أكثر) فهو يؤكد على هذا الامتزاج الروحي بينه وبين هذه المرأة لدرجة أنه يرى نفسه متجسدة فيها تجسداً كاملاً كأنه أصبح هي، ثم يؤكد على ذلك في قوله (تزداد صورتها وضوحاً أمامي).

التعبير الفلسفي وتمثيلاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً

لم يقف البطران على تصوير هذا التمازج الروحي من جانبه هو، وإنما صور لنا الجانب الآخر لهذا التمازج عندما قال (أدير ظهري للمرأة، أرى صورتني في وجهها) فكما هي تشكل ذاته، هو أيضاً يشكل ذاتها، فكلاهما اتحدا ليصبحا نفساً واحدة، وهذا التصوير الفلسفي لبعد العلاقة الروحية بين الرجل والمرأة، وما يمثله كل منهما للآخر إلى حد الامتزاج والتداخل النفسي والروحي، هو قمة البلاغة الفلسفية التي قدمها البطران في هذا المشهد المكثف، المتعمق في الفلسفة الوجودية، التي تعود في مرجعيتها الأزلية إلى بداية الخلق منذ آدم وحواء .

تضمّن التشكيل في هذه القصة أيضاً بعداً فلسفياً تشكلياً، فقد وظف البطران علامات الحذف والإضمار توظيفاً ديناميكياً في مواضع تدعو إلى التأمل والتفكير والوقفة الزمنية الفاصلة بين الأفعال، كما استخدم التعجب التابع لعلامات الإضمار، ليعطي الدلالة عمقاً أبعد في التفكير، فهو يجذب المتلقي لمشاركته التصور الحداثي من خلال هذه العلامات .

بنى البطران قصته هذه على الجمل الفعلية في الزمن الحاضر، لينقل مشهداً حياً يحمل وحدة موضوعية قوامها عمق العلاقة بينه وبين الشخصية الثنائية التي تشاركه الحدث، موظفاً عنصراً من عناصر المكان (المرأة) مشكلاً مفارقة بين المرأة الحقيقية، والمرأة المتشكلة في وجه تلك الشخصية التي امتزجت به، مستخدماً عبارات سردية مكثفة، مليئة بعناصر الدهشة والبعد الرمزي .

تظهر في القصة السابقة خاصية التابع والتسارع في الأحداث الفعلية المتتالية بصورة متسارعة (أنظر، أراها، أطيل النظر، أحقق، أدقق، أرى) فالأفعال تسير سيراً متتابعاً متعاقباً متسارعاً بصورة ديناميكية ومضية، تنقل مشهداً عميق الدلالات في عبارات حركية مكثفة .

ومن النصوص القصصية القصيرة جداً الأخرى التي تحمل بعداً فلسفياً أنطولوجياً عند البطران هذا النص:

امتداد

نظر لأعلى البرج... سقط"⁴⁷

تحمل عتبة العنوان الأحادية في هذه القصة القصيرة جداً بعداً وجودياً يعبر عن فكرة الامتداد، أو التطاول في الارتقاء، ومحاولة الوصول إلى غاية البعد، فطموح الإنسان لا يقف على حد معين، ومحاولة الارتقاء والعلو هي حلم يراود الإنسان دائماً.

بدأ النص بفعل ماضٍ (نظر) يدل على توجيه حاسة البصر نحو هدف معين، وهذا يستلزم توجيه الطاقات باتجاه ذلك الهدف، واتجاه النظر هنا إلى أعلى البرج مباشرة، وهذه النظرة لها دلالة رمزية معينة، فهذا التعالي في النظر بدأ من موقع الناظر الذي يحمل ضمير الغائب، إلى أعلى البرج مباشرة، دون التدرج في النظر للوصول إلى هذا الامتداد، وبعد علامات الحذف والإضمار، يأتي الفعل الذي يحمل دلالة النتيجة لهذا التطاول في النظر إلى أعلى البرج في الفعل (سقط).

تثير هذه القصة القصيرة جداً اندهاش المتلقي، وتولد في ذهنه العديد من التساؤلات حول غرابة المشهد، فهل تم السقوط لمجرد النظر إلى أعلى البرج دون محاولة للصعود؟ أم أن الشخصية المحورية في القصة حاولت الصعود إلى أعلى البرج فسقطت؟ وما هو النص الكامن خلف علامات الحذف والإضمار التي وظفها البطران قبل الفعل (سقط)؟

هذه التساؤلات تدفع المتلقي لإنتاج نصٍّ موازٍ، لتقدير ما أضمره الكاتب حول دوافع السقوط وملابساته، فالبطران نقل للمتلقي مشهداً متكامل العناصر السردية الحكائية، في قصة قصيرة جداً، لا تتجاوز الأربع كلمات، لكنها تحمل مضموناً متكاملًا يحتوي عناصر القصة من زمان ومكان وشخصية ووحدة موضوعية، فالحدث هو النظر، ثم السقوط، والزمن وقت النظر والسقوط، والشخصية تحمل ضمير الغائب هو، والمفارقة بين مشهد النظر إلى أعلى البرج، ومشهد السقوط الصادم.

بني البطران قصته هذه على الجمل الفعلية في الزمن الماضي (نظر، سقط)، فالأحداث تسير بشكل متتابع ومتسارع سيراً تصاعدياً من الأسفل إلى الأعلى، كما يحمل النص وحدة موضوعية تتناول حدثاً مشهدياً، يحمل عناصر الإدهاش

التعبير الفلسفي وتمثيلاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً

والغريبة، نقلها البطران في سرد شديد التكثيف، تاركاً للمتلقى إثارة التفكير وتصور ملابسات الأحداث .

لم تغب الإبستمولوجيا ومحاولات إدراك الحقائق المعرفية المتعلقة بالإنسان وقضايا الوجودية: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، عن القصة القصيرة جداً، فقد أثار كتابها مختلف مجالات المعرفة التي تتعلق بقضايا الوجود المعرفية والإدراكية، بأسلوب السخرية والرمزية، التي تنتقد السلبات المتعلقة بالإنسان والوجود، ما يوحي بالوعي الفكري والإدراكي المتشكل لدى الكاتب بملابسات الواقع وحيثياته، ومن النصوص القصصية القصيرة جداً التي تحمل فلسفة إدراكية للقضايا الاقتصادية في المجتمع الإنساني المعاصر عند الكاتب حسن البطران هذه القصة:

(وطني...)

"وطني ...

وطني ...

وطني...

رددتها الطالب داخل صفه الدراسي، وفي الطابور الصباحي ..

حينما أنهى المرحلة الجامعية... حمل شهادته على ظهره، وكرر أين أنت يا

وطني؟! ⁴⁸

بدأ البطران قصته القصيرة جداً بعنوان أحادي اسمي (وطني)، معطوف على باء المتكلم، وهذا المفهوم يحمل عمقاً أنطولوجياً متعلقاً بالكائنات الحية، فيما يشكله هذا المفهوم من ارتباط فسيولوجيين الكائن والمكان الذي نشأ فيه، فالوطن يشكل موضع الأمان والانتماء، والعلاقات المتماسكة، كما أن هناك روابط أساسية بين الوطن والمواطن، تتعلق بالحقوق والواجبات المتعارف عليها في المجتمعات الإنسانية.

ترتبط فلسفة الوطن عند الكاتب بكل النواحي التي تتعلق بالحياة الإنسانية، اقتصادية، وسياسية، واجتماعية، فتحت سقفه تقوم كل هذه

العلاقات، والإنسان العادي يتأثر بما يحدث في وطنه من إيجابيات، أو سلبيات في هذه النواحي .

استهل البطران قصته بتكرار كلمة وطني متبوعة بعلامات الحذف والإضمار، مختصراً من خلال هذا التكرار وعلامات الحذف قوة ارتباط شخصية القصة بهذا المفهوم، ثم يواصل بالجملة الفعلية (ردها الطالب داخل صفه الدراسي)، فالشخصية هنا معرفة(الطالب)والمكان محدد وهو الصف الدراسي، ثم يؤكد على فعل التردد في مكان آخر(الطابور الصباحي)، فالطالب يردد النشيد الوطني في مكان تعلمه كل صباح، فينشأ على ارتباطه بوطنه، وهذا الأمر بديهي في كل المجتمعات، لكن المفارقة في الأحداث اللاحقة للقصة، فهذا الطالب الذي أنشد لوطنه أهازيج الانتماء والولاء سنوات دراسته، وتعلم حب الوطن والولاء إليه منذ صغره، وطيلة مراحل تعلمه، يصوره البطران في نهاية الأحداث حاملاً شهادته الجامعية التي أنهى متطلبات الحصول عليها فوق ظهره، كمن يحمل ثقلاً منهكاً لقواه، فهذه الشهادة التي قضى سنوات للحصول عليها، أصبحت حملاً ثقيلاً لا فائدة لها، ما يشير إلى عدم تمكنه من العمل بعد الحصول عليها، فأصبح يكرر النداء بالبحث عن وطنه، فهو لا يجده في وقت حاجته إليه(أين أنت يا وطني؟.!).

نقل البطران من خلال هذه القصة القصيرة جداً، رؤية فلسفية اقتصادية لمعاناة شعوب المجتمعات الحديثة، وهي مشكلة البطالة وعدم توفر العمل للشباب بعد حصولهم على الشهادة الجامعية، فاستخدم التناهي والتعاقب في الأحداث من بداية التعلم وترديد النشيد الوطني، إلى إنهاء الدراسة الجامعية والحصول على الشهادة، ثم المشهد المؤثر المعبر عن خيبة الأمل للطالب الذي يحمل شهادته على ظهره كمن يحمل ثقلاً، فالكاتب مدرك لقضايا المجتمعات الوجودية، ويوظف القصة القصيرة جداً في نقل مشاهد تراجمية تعري هذه القضايا أمام المتلقي بأسلوب السخرية المبكية، موظفاً عناصر اللغة كالكناية

التعبير الفلسفي وتمثيلاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً

(حمل شهادة على ظهره) كناية عن الثقل والمعاناة التي تلحق الطالب في حمل الشهادة دون عمل .

بنى البطران قصته القصيرة جداً على فعلية الجملة (رددها، أنهى، حمل شهادته، كرر) ليعالج موضوعاً موحداً، موظفاً إمكانات اللغة وعلامات الترقيم: علامات الحذف والإضمار، والفاصلة، وعلامة الاستفهام المتبوعة بعلامة تعجب، بما يحقق للنص الإثراء الدلالي المطلوب بأسلوب مكثف غني بالإيحاءات الرمزية، والمفارقة في الأحداث، وإثارة الدهشة لغرابة الحدث .

تظهر في القصة السابقة للبطران خاصية الاحتفاء بالعادي والمألوف، فقد أثار حدثاً من الأمور الاعتيادية اليومية في المجتمع، ليلفت المتلقي إلى مشكلة تحدث كل يوم، وهي ازدياد عدد حاملي الشهادات العلمية، مع عدم توفر فرص العمل المناسبة لهذه التخصصات، مخاطباً الفئة الأوسع من المتلقين بلغة بسيطة حافلة بعمق المعنى الدلالي.

تسير الأحداث في القصة السابقة سيراً تصاعدياً متتابعاً، وعند وصول الأحداث إلى حبتها وتأزمها (حينما أنهى المرحلة الجامعية)، يقف المتلقي عند علامات الحذف والإضمار ليتابع لحظة المفارقة في الحدث (حمل شهادته على ظهره)، فصور الشهادة بالحمل الثقيل، فاختر الظهر وهو مكان القوة للرجل الذي يحمل عليه الأثقال، وجاء بالفعل (كرر) مقابل الفعل (ردد) في بداية الأحداث ليعطي دلالة أبلغ في تكرار البحث عن العمل الذي يشغل بال الشخصية، بعدها يترك للمتلقي النهاية المفتوحة، ليشركه في سبكها واستنتاجها. ومن النصوص التي توحى بإدراك الكاتب للقضايا الوجودية، ومعالجته الفلسفية لها في نصوصه القصصية القصيرة جداً، هذا النص للبطران:

إثر خلل في توازن كعبها العالي، فتاة ممشوقة الجسم والجمال، تمتلك حنجرة فولاذية، يعلو صراخها المدوي ويملاً فضاءات شوارع المدينة الصارخة، وبموسيقية صراخها الأنثوي، تحلق الطائرات وتتوقف الأسواق، وتربط أفواه الطيور، ويُحتفل باليوم العالمي للصراخ!⁴⁹

تحمل عتبة العنوان في هذه القصة القصيرة جداً دلالة رمزية ملفتة للمتلقي، فهل هناك يوم للصراخ كبقية الأيام التي يحتفل بها العالم؟ هذا التساؤل يتبادر إلى ذهن المتلقي عند قراءته لهذا العنوان المركب، ما يدفعه إلى متابعة القراءة للنص .

يستهل البطران قصته بالسرد من الخلف لحدث شديد الغرابة أعلن من أجله يوم الصراخ، فالشخصية المحورية للقصة التي وصفها بالقوام الممشوق والجمال، تعرضت لخلل في توازن كعبها العالي، مما دفعها إلى الصراخ المدوي في أرجاء المدينة التي وصفها بالصارخة، دلالة على التحرر والتحضر، وتأتي المفارقة الصادمة في انعكاس ذلك الحدث على المدينة بأكملها، إذ أصبحت الطائرات تحلق بموسيقية صوتهما الذي وصفه بالأنثوي، رغم علوه الصراخ، كما تتوقف الأسواق، وتربط أفواه الطيور، دلالة على التوقف عن العمل وطلب الرزق، ومظاهر الحياة الطبيعية في ذلك اليوم، ثم النهاية المدهشة لهذا الحدث بالاحتفال العالمي بيوم الصراخ الذي أعلن إثر هذا الحدث الاعتيادي الذي لا يشكل أهمية للمجتمع، ما يثير السخرية والاستهجان لهذه النهاية .

سرد البطران أحداث القصة بأسلوب مكثف، مستخدماً الوصف بعبارات مجملة، فوصف المرأة بقوامها الممشوق وجمالها، كما وصف حنجرتها الفولاذية، دلالة على قوة الصوت وتأثيره، كذلك وصف كعبها العالي، ووصف المدينة بالصخب، والمعروف أن القصة القصيرة جداً تبتعد عن الوصف من أجل التكثيف، ولكن في هذه القصة نجد أن الوصف جاء ضرورياً وبلغاً، لإيصال المعنى المراد، فالألفاظ جاءت مناسبة في مواضعها، لإيصال المضمون بشكل مكثف مليء بالغرابة والإدهاش والسخرية المبطنة .

انتقد البطران في هذه القصة القصيرة جداً فلسفة الأيام الاحتفالية العالمية التي تُحدد لأسباب غير منطقية، ويتم فيها تعطيل سير الحياة الطبيعية، وقضاء اليوم بالاحتفال، ما يثير مشاكل اقتصادية، لكثرة هذه الأيام العالمية، كيوم الحب، ويوم المرأة، ويوم العمال، ويوم الشجرة، وغيرها .

التعبير الفلسفي وتمثيلاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً

عرض البطران أحداث هذه القصة القصيرة جداً، عرضاً مشهدياً نقل فيه المتلقي إلى مسرح الأحداث، وكأنه يشاهد عرضاً كوميدياً ساخراً يقوده للدهشة والضحك الشديد من غرابة المشهد، كما يثير استنكاره لمثل هذه الأحداث التي تتنافى مع الوعي الفكري للبشرية السوية.

استخدم البطران الجمل الفعلية، واللغة البسيطة، وأساليب السخرية المبطنة محتفياً بالعادي والمألوف، لإثارة موضوع فلسفي يهم المجتمعات الإنسانية، مخاطباً الفئة الواسعة من المتلقين، موظفاً عناصر السرد، والمفارقة في الأحداث، والنهاية المثيرة للدهشة.

لم تغب الإكسيولوجيا أو فلسفة القيم والمثل العليا الإنسانية عن نصوص القصة القصيرة جداً، فقد تواجدت بشكل لافت في نصوص هذا الجنس الأدبي بين تمجيد للقيم النبيلة، واستنكار وسخرية من الرذيلة، فالكاتب عين على الواقع، يلتقط المشاهد ويصيفها بقالب أدبي، موظفاً جماليات اللغة وعناصرها البلاغية، لإيصال الرؤى الفلسفية، وكشف الأحداث الواقعية بما فيها من سلبيات وإيجابيات.

تضمنت العديد من قصص البطران القصيرة جداً، مضامين فلسفية قيمية وأخلاقية، ومن القصص التي صورت فلسفة المثل العليا والفضيلة والإيثار، هذه القصة القصيرة جداً من مجموعته: ماريا ورع من الدائرة

طلبتني مساعدة، ولم يكن معي ما يسد حاجتي، لم أبخل عليها، كوني أعشق أن يبقى ردائي أبيض ..

وبعد فترة غيابي المبرر، اهتمتني بالتقصير والتخاذل، رغم أن غصنها ليس في شجرتي، لم أعرف كيف أدفع ذلك عني، وبزوغ شعاع صدي وبياض ثوبي يظهر جلياً لها ولغيرها، ارتدت هي الغطاء الأسود في نظرتها الثاقبة لي، وحاولت أنا أن أشتري الصمت وأبحث عن مساعدة جديدة لها...! ⁵⁰

حملت عتبات النص المركبة تركيباً اسنادياً (شراء صمت) دلالة فلسفية بليغة، فالبطران في هذا العنوان لقصته لا يشتري شيئاً مادياً، وإنما يشتري

الصمت، أي الوقوف عن الكلام، وهذه العبارة تقال عندما يصبح الصمت مكسباً للشخص، والكلام لا يأتي بفائدة ترجى في بعض المواقف الإنسانية .

بدأ البطران قصته القصيرة جداً بسرد موقف يشير فيه إلى فلسفة تعبر عن المنظومة القيمية والأخلاقية، بينه وبين الشخصية الثنائية التي تشاركه أحداث هذه القصة، ففي هذا الموقف تطلب تلك المرأة المشار إليها بضمير الغائب مساعدة منه، فيقدمها لها رغم حاجته الشديدة لما قدمه، مبرراً تصرفه بعشقه الشديد لبقاء رداءه ناصع البياض، ما يشير إلى السمعة الطيبة، والصفات النبيلة، التي رمز إليها باللون الأبيض في الرداء، وهذه الفلسفة تشير إلى قيمة الإيثار التي وردت في القرآن الكريم" ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة"(سورة الحشر الآية ٩)، والإيثار فلسفة قيمية تعني تقديم حاجة الناس على الحاجة الشخصية، فالبطران هنا قدم المساعدة لتلك السيدة وهو بأشد الحاجة إليها، لكن الرد من جانب تلك الشخصية على هذا العمل النبيل كان مستهجنًا، فهي اتهمته بالتقصير والتخاذل لمجرد غيابه لأسباب مبررة كما وصفها الكاتب، رغم أنه ليس مرتبطاً بها بصفه عائلية كما أشار إلى ذلك في قوله:(رغم أن غصنها ليس من شجرتي) فرغم ذلك تهمه بالتقصير، حيث يشير إلى صمته أمام هذا الاتهام، والاكتفاء بذكر بياض ثوبه الواضح أمامها وأمام الآخرين، كناية عن حسن الصفات، ووضوح النوايا، في حين ارتدت هي غطاء أسود، ما يشير إلى سوء الظن، معتبرة ذلك نظرة ثاقبة كما يشير إلى ذلك (ارتدت هي الغطاء الأسود في نظرتها الثاقبة لي)، ومع هذا الرد المستهجن منها على فعله النبيل، لم يتوقف عن مساعدتها كما أشار إلى ذلك في النهاية (وحاولت أن أشتري الصمت وأبحث عن مساعدة جديدة لها).

وظف البطران أنثروبولوجيا اللونين الأبيض والأسود، وانعكاساتهما على النفس البشرية، فعبر عن القيم النبيلة، والصفات الحسنة ببياض الرداء الذي يغطي جسد الإنسان ويكسوه بهذه الصفات المنعكسة للرائي بنقاء اللون الأبيض،

التعبير الفلسفي وتمثيلاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً وتأثيره النفسي على الإنسان، وبالمقابل وظف اللون الأسود بعتمته وضبابيته، للتعبير عن سوء الظن عند تلك الشخصية التي تشاركه الحدث.

شكّل البطران قصته القصيرة جداً موظفاً عناصر السرد القصصي من زمان ومكان ووحدّة موضوعية، مستخدماً الجمل الفعلية الديناميكية لتسير الأحداث سيراً متعاقباً منذ حدث (طلب المساعدة)، وتآزم الأحداث في لحظة (سوء الظن)، إلى نهاية الأحداث (إيثاره للصمت)، فالأحداث تسير بشكل متسارع ومتعاقبي سرد مشهدي متكامل العناصر، لمعالجة موضوع فلسفي في القيم والمثل العليا.

استخدم البطران في هذه القصة القصيرة جداً أساليب البلاغة، وجماليات اللغة، فاستخدم الكنايات مثل: (غصنها ليس من شجرتي) كناية عن عدم وجود صلة قرابة بينهما، و(بياض ثوبي يظهر جلياً) كناية عن حسن السيرة والصفات الأخلاقية، و(ارتدت هي الغطاء الأسود) كناية عن سوء الظن والمعاملة، كما استخدم التشبيهات والمجاز (بزوغ شعاع صدقي)، (اشترى الصمت)، (أعشق أن يبقى ردائي أبيض)، ما أثرى القصة بالعناصر الجمالية، وعمق الدلالات في عبارات مكثفة.

وظف البطران علامات الترقيم توظيفاً مناسباً فاستخدم الفواصل في أماكنها المناسبة، واستخدم علامات الحذف والإضمار، وعلامة التعجب والإدهاش تاركاً للمتلقى الدهشة وتقدير ما سكّت عن قوله خلف علامات الحذف.

ومن النصوص التي تحمل رؤية فلسفية تعكس منظومة القيم المنعكسة عن العالم الاقتصادي، الذي أعلي من شأن المادة على حساب القيم الأخرى هذه القصة القصيرة جداً من مجموعة (ماريا وربيع من الدائرة) للبطران:

(بورصة)

"أجبر على الدراسة، ركل الكرسي برجله اليسرى، بعد ثلاث سنوات من هجرانه المدرسة، سجّل ثلاثة أهداف برجله اليسرى في آخر مباراة!..

غنت البنات باسمه ..

ارتفعت قيمة أسهمه في بورصة الكرة، أخوه الدكتور الجامعي لم يستطع شراء سيارة...!!" 51

توحي العتبة التي استهل بها البطران قصته بدلالة تجارية (بورصة) ترشد المتلقي إلى المضمون، وتضمنت عبارة الاستهلال فعلاً مبنياً للمجهول (أُجبر على الدراسة)، فحدث الإجبار على الدراسة هو الأهم، لذا لا يهم ذكر من الفاعل، فكانت نتيجة هذا الإجبار وعدم الرغبة في الدراسة أن دفعه لركل (الكرسي) الذي يحمل دلالة مقعد الدراسة، برجله اليسرى، وتحديد الرجل اليسرى في القصة هنا له دلالة رمزية توحي بالاستهتار بأمر الدراسة وأهميتها.

يتابع البطران سرد ما حدث بعد فاصل زمني مدته ثلاث سنوات تلت حدث ترك الشخصية المحورية للدراسة، لينقل المفارقة المثيرة للدهشة، فهذا الشاب اتخذ طريقاً آخر للوصول إلى الشهرة مستخدماً نفس الرجل اليسرى التي ركل بها الكرسي الدراسي (سجل ثلاثة أهداف برجله اليسرى في آخر مباراة...!)، فكانت النتيجة المذهلة والمثيرة للاستهجان في تغير منظومة القيم (غنت البنات باسمه) إذ أصبح من المشاهير عند البنات، وكذلك (ارتفعت نسبة أسهمه في بورصة كرة القدم)، ثم يعطي البطران صورة مقابلة مثيرة للحزن والغربة في مفارقات الواقع (أخوه الدكتور الجامعي لم يستطع شراء سيارة...!!)، وكأن البطران أراد لفت النظر إلى تغير فلسفة قيمة العلم وأصحابه، بحيث أصبحت الشهرة والمال أكثر تأثيراً وقيمة في العالم الحديث.

وظف البطران في هذه القصة القصيرة جداً أساليب السرد، والجمل الفعلية (أُجبر، ركل، غنت، ارتفعت) لتصوير مشهد متكامل، ضمن وحدة موضوعية، في زمن متفاوت بين الماضي والحاضر، فسار بالأحداث سيراً تصاعدياً من الخلف إلى الأمام، مكثفاً العبارات السردية، مختزلاً اللغة، لنقل المشهد، دون قصور في المضمون، كما استخدم علامات الترقيم، مثل التعجب والفواصل وعلامات الحذف والإضمار، لإشراك المتلقي في بناء الحدث وتقدير ما أضمره، ومشاركته الدهشة والتعجب من غرابة المشهد.

التعبير الفلسفي وتمثيلاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً

احتوت القصة على عناصر المفارقة في الأحداث بين ترك الشخصية المحورية للدراسة، وعلو قيمته في المجتمع إثر فوزه في كرة القدم، وبين ارتفاع أسهمه في البورصة، وعدم قدرة أخوه الدكتور الجامعي على شراء سيارة، ما يولد الدهشة لدى المتلقي، ويلفته إلى غرابة المشهد، ويثير سخريته، فالبطران نقل الأحداث المألوفة، بأسلوب ملفت غني بالدلالات الرمزية.

الخاتمة

يتضح مما سبق حضور التعبير الفلسفي في القصة القصيرة جداً شكلاً ومضموناً، فالكاتب يستقي مضامينه الفكرية من الواقع الوجودي للمجتمعات الإنسانية، بما فيها من قضايا اقتصادية واجتماعية وسياسية يومية، ويشكلها في قالب سردي، موظفاً جماليات اللغة وعناصر البلاغة، والأساليب الرمزية والإيحائية، لتصوير مشهد متكامل بأسلوب مكثف، مختزلاً اللغة في أقل العبارات حجماً، لإيصال مضامين واسعة الدلالات، ما يعبر عن روح الزمن المتسارع، الذي لا مجال فيه للإطناب، وإنما الوصول إلى الغاية بأقصر المسافات، وأقل العبارات. كما يتضح تداخل المجالات العلمية، بما فيها الفلسفة مع الأدب، وخاصة الأدب الحديث الذي واكب هذه التداخلات، واستقى منها سلوك أقصر السبل وأسرعها لإيصال الفكرة للمتلقي، بأسلوب حدائي فلسفي يمثل الواقع المتطور في شتى المجالات العلمية والفلسفية.

ولأهمية هذا الموضوع في الأدب الحديث، وقلة الدراسات التي تناولت التعبير الفلسفي في القصة القصيرة جداً، أوصي بالمزيد من الدراسات في هذا المجال الذي يلاقي رواجاً واسعاً خصوصاً في مواقع التواصل الاجتماعي الحاضنة الأولى لهذا الجنس الأدبي.

الهوامش

¹ - عريضة، الشيخ كامل محمد، (١٩٩٣) شوبنهاور بين الفلسفة والأدب، (ط١)، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ص 403.

² - رجب، بوبوس (١٤٢٥) تبسيط الفلسفة (ط١) ليبيا، بنغازي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، صفحة 15.

- ³ - سعيد، جلال الدين (٢٠٠٤م) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، (د، ط)، تونس، دار الجندي للنشر، ص 337.
- ⁴ - تودوروف، (٢٠٠٢) مفهوم الأدب ودراسات أخرى، ترجمة عبود كاسوحة، سوريا، دمشق، منشورات وزارة الثقافة السورية، (ط١) ص 9.
- ⁵ - المرجع نفسه، ص 5.
- ⁶ - كونديرا، ميلان: ثلاثية حول الرواية (٢٠٠٧) ترجمة بدرالدين عرودي، (ط1)، القاهرة، مصر، المشروع القومي للترجمة، صص 13-14.
- ⁷ - باورا، الأدب اليوناني القديم، ترجمة محمد علي زيد وأحمد سلامة محمد، (د، ت) القاهرة، دار سعد مصر القاهرة، ص 104.
- ⁸ - عريضة، شوبنهاور بين الفلسفة والأدب، ص 04.
- ⁹ - سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص 173.
- ¹⁰ - المرجع نفسه ص 332.
- ¹¹ - شوبنهاور، بين الفلسفة والأدب، ص 504.
- ¹² - المرجع نفسه، ص ص 10، 11.
- ¹³ - أفلاطون (1985) الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ص 403.
- ¹⁴ - الصدر، محمد باقر (1982) فلسفتنا، (ط١) لبنان، بيروت، دار المعارف للمطبوعات، ص 61.
- ¹⁵ - تودوروف، مفهوم الأدب ودراسات أخرى، ص 20.
- ¹⁶ - كونديرا: ثلاثية حول الرواية، ص 19.
- ¹⁷ - مصطفى، ماجد (2005) في الأدب العربي الحديث والمعاصر (ط١) القاهرة، دار الكرز للنشر والتوزيع، ص 08.
- ¹⁸ - تودوروف، مفهوم الأدب ودراسات أخرى ص 7.
- ¹⁹ - حمداوي، جميل (2016) نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة (ط1) الرباط، مكتبة سلمى الثقافية، ص 16.
- ²⁰ - شيا، محمد شفيق (2009) في الأدب الفلسفي (ط1)، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص 6.
- ²¹ - الطويل، توفيق (١٩٥٥): أسس الفلسفة، ط١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ص 70.
- ²² - انظر: المرجع نفسه ص 72.

التعبير الفلسفي وتمثيلاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً

- ²³ - المرجع نفسه، ص 70.
- ²⁴ - بدوي، عبد الرحمن (١٩٧٣م) دراسات في الفلسفة الوجودية (ط٣) بيروت، دار الثقافة، ص 18.
- ²⁵ - نهاد التكرلي (١٩٧٩) (الموسوعة الصغيرة ٣٦) اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، العراق، وزارة الثقافة العراقية، ص 91.
- ²⁶ - المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
- ²⁷ - هيجل، (٢٠٠٧) العقل في التاريخ، ترجمة: د إمام عبد الفتاح إمام، (ط٣) بيروت، دارالتنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ص 51.
- ²⁸ - الطويل، توفيق: أسس الفلسفة، ص 71.
- ²⁹ - فرجينيا وآخرون (٢٠١٩) اكتمال العالم، الأدب المعرفة السعادة (ط١) بغداد، دار المدي، ص 187.
- ³⁰ - المرجع نفسه ص 171.
- ³¹ - حسين، حمدي (١٩٩٤) الرؤية السياسية في الرواية الواقعية، ط١، مصر، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 45.
- ³² - زكريا، إبراهيم (١٩٦٨) دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، ص 277.
- ³³ - الطويل، توفيق: أسس الفلسفة، ص 72.
- ³⁴ - الحاوي، إيليا (١٩٨٣) الرومانسية في الشعر الغربي والعربي (ط١) دار الثقافة للنشر، لبنان، ص 10.
- ³⁵ - شيا: في الأدب الفلسفي، ص 117.
- ³⁶ - المرجع نفسه، ص 13.
- ³⁷ - المرجع نفسه ص 117.
- ³⁸ - الفراهيدي، الخليل بن أحمد (٢٠٠٣م) معجم العين، عمان، دار الكتب العلمية، مادة قصص.
- ³⁹ - علوش، سعيد (١٩٨٥م) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (ط١) بيروت، دار العلم للملايين، ص 180.
- ⁴⁰ - حمداوي، جميل (٢٠١٣م) من أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصيرة جداً (ط١) الوراق للنشر والتوزيع، ص 78.
- ⁴¹ - شوبنهاور، بين الفلسفة والأدب، ص 12.

- ⁴² - البطران، حسن علي (٢٠٠٩) نzf من تحت الرمال، مجموعة قصص قصيرة جداً (ط١) السعودية، دار الكفاح للنشر والتوزيع .
- ⁴³ - البطران، حسن علي (٢٠١٩) سماوات لا تنبت أشجاراً، مجموعة قصص قصيرة جداً (ط١) السعودية، دار عراب العرب .
- ⁴⁴ - البطران، حسن علي (٢٠١٤) ماء البحر لا يخلو من ملح، مجموعة قصص قصيرة جداً (ط٢) السعودية، مطابع الحسيني الحديثة .
- ⁴⁵ - البطران، حسن علي، (٢٠٢٠) ماريا وربع من الدائرة، مجموعة قصص قصيرة جداً (ط١) بورسعيد، مصر، دار ديوان العرب للنشر والتوزيع.
- ⁴⁶ - البطران، حسن علي (٢٠١٤) ناهدات ديسمبر مجموعة قصص قصيرة جداً (ط١) الكويت، مطبعة نوفابلس، ص 17.
- ⁴⁷ - البطران، المصدر نفسه، ص 117.
- ⁴⁸ - البطران، سماوات لا تنبت أشجاراً، ص 42.
- ⁴⁹ - البطران: ماء البحر لا يخلو من ملح، ص 81.
- ⁵⁰ - البطران: ماريا وربع من الدائرة، ص 79.
- ⁵¹ - البطران: ماريا وربع من الدائرة، ص 73.

قائمة المصادر والمراجع

- أفلاطون (1985) الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب
- باورا، الأدب اليوناني القديم، ترجمة محمد علي زيد وأحمد سلامة محمد، (د، ت) القاهرة، دار سعد مصر القاهرة.
- بدوي، عبد الرحمن (١٩٧٣م) دراسات في الفلسفة الوجودية (ط٣) بيروت، دار الثقافة
- البطران، حسن علي (2019) سماوات لا تنبت أشجاراً، مجموعة قصص قصيرة جداً (ط١) السعودية، دار عراب العرب.
- البطران، حسن، علي (2014) ماء البحر لا يخلو من ملح، مجموعة قصص قصيرة جداً (ط٢) السعودية، مطابع الحسيني الحديثة.
- البطران، حسن علي (2020) ماريا وربع من الدائرة، مجموعة قصص قصيرة جداً (ط١) بورسعيد، مصر، دار ديوان العرب للنشر والتوزيع.

- التعبير الفلسفي وتمثيلاته في القصة القصيرة جداً، قصص حسن البطران أنموذجاً
- البطران، حسن علي (2014) ناهدات ديسمبر، مجموعة قصص قصيرة جداً (ط1)، الكويت، مطبعة نوفابلس.
- البطران، حسن علي (2009) نzf من تحت الرمال، مجموعة قصص قصيرة جداً (ط1) السعودية، دار الكفاح للنشر والتوزيع.
- تودوروف، (٢٠٠٢) مفهوم الأدب ودراسات أخرى، ترجمة عبود كاسوحة، سوريا، دمشق، منشورات وزارة الثقافة السورية.
- الحاوي، إيليا (١٩٨٣) الرومانسية في الشعر الغربي والعربي (ط١) دار الثقافة للنشر، لبنان
- حسين، حمدي (١٩٩٤) الرؤية السياسية في الرواية الواقعية، ط١، مصر، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع
- حمداوي، جميل (٢٠١٣م) من أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصيرة جداً (ط١) الوراق للنشر والتوزيع
- حمداوي، جميل (2016) نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة (ط1) الرباط، مكتبة سلى الثقافية
- رجب، بو دبوس (١٤٢٥) تبسيط الفلسفة (ط١) ليبيا، بنغازي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
- الزغول، فاطمة (٢٠٢٠): أثر مواقع التواصل الاجتماعي في القصة القصيرة جداً، ط١، عمان، دار البيروني للطباعة والنشر والتوزيع
- زكريا، إبراهيم (١٩٦٨) دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة
- سعيد، جلال الدين (٢٠٠٤م) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، (د، ط)، تونس، دار الجندي للنشر
- شيا، محمد شفيق (2009) في الأدب الفلسفي (ط1)، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر
- الصدر، محمد باقر (1982) فلسفتنا، (ط١) لبنان، بيروت، دار التعارف للمطبوعات

- الطويل، توفيق (١٩٥٥): أسس الفلسفة، ط ١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية
- عريضة، الشيخ كامل محمد، (١٩٩٣) شوبنهاور بين الفلسفة والأدب، (ط ١)، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية
- علوش، سعيد (١٩٨٥ م) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (ط ١) بيروت، دار العلم للملايين .
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (٢٠٠٣ م) معجم العين، عمان، دار الكتب العلمية، مادة قصص.
- فرجينيا وآخرون (٢٠١٩) اكتمال العالم، الأدب المعرفة السعادة (ط ١) بغداد، دار المدي
- مصطفى، ماجد (2005) في الأدب العربي الحديث والمعاصر (ط ١) القاهرة، دار الكرز للنشر والتوزيع
- نهاد التكرلي (١٩٧٩) (الموسوعة الصغيرة ٣٦) اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، العراق، وزارة الثقافة العراقية.
- هيجل، (٢٠٠٧) العقل في التاريخ، ترجمة: د إمام عبد الفتاح إمام، (ط ٣) بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع